الصاعقة الثالثة: أمن ازديارك في الدجى الرقباءُ(*)

أمنَ ازديارَكِ في الدُّجى الرُّقَباءُ ... إذ حَيثُ كنتِ منَ الظَّلامِ ضياءُ(١)

قَلَقُ المليحةِ وهيَ مِسكٌ هَتكها ... ومَسيرُها في اللّيلِ وهيَ ذُكاءُ(٢)

أسَفي على أسَفي الذي دَلهتني ... عَن علمِه فَبِه عَليّ خَفاءُ(٣)

وَشَكيّتي فَقدُ السّقامِ لأنّهُ ... قَدْ كانَ لما كانَ لي أعضاءُ

مَثّلتِ عَينَكِ في حَشايَ جِراحَة ... فتَشابَها كِلتاهُمَا نجلاءُ(٤)

نَفَذَت عَليّ السّابِريَّ وربّما ... تَندَقّ فيهِ الصَّعدَةُ السّمراءُ(٥)

أنا صَخرَةُ الوادي إذا ما زُوحمتْ ... وإذا نَطَقتُ فإنّني الجَوْزاءُ(٦)

وإذا خَفيتُ على الغَبيّ فَعاذِرٌ ... أن لا تَراني مُقلَةٌ عَمياءُ

شيَمُ الليالي أن تُشَكّك ناقَتي ... صَدري بها أفضَى أم البَيداءُ(٧)

فَتَبيتُ تُسئِدُ مُسئِداً في نَيّها ... إسآدَها في المهمَهِ الإنْضاءُ(٨)

(*) مناسبة القصيدة: يمدح بها هارون بن عبدالعزيز الأوراجي، الكاتب المشهور، وكان يذهب إلى التصوف.

(١) الازدیار: الزيادة. الدجى: جمع دجية، وهي الظلمة.

(٢) القلق: الاضطراب. هتكها: فضيحتها. ذكاء: علم للشمس.

(٣) دلّهتني: أذهبت عقلي.

(٤) مثلت: صورت. البخلاء: الواسعة.

(٥) السابري: الدريح. تندت: تتكسر. الصعدة: القناة المستوية من منبتها.

(٦) الجوزاء: من أبراج الفلك.

(٧) الشيم: الطباع. أفضى أوسع.

(٨) تسئد: تسير الليل كله. النيّ: الشحم. المهمة: المفازة. الإنضاء: الهزال.

بَيني وبَينَ أبي عَليّ مُثلُهُ ... شمُّ الجِبالِ ومثلهنَّ رجاءُ[١]

وعِقابُ لبنانٍ وكيفَ بقَطعِها ... وهُوَ الشّتاءُ وصَيفُهُنّ شِتاءُ[٢]

لبَسَ الثّلُوجُ بها عَليّ مَسالكي ... فَكَأنّها بِبَياضِها سَوداءُ[٣]

وكَذا الكَريمُ إذا أقامَ ببَلدَةٍ ... سَالَ النُّضارُ بها وقامَ الماءُ[٤]

جَمَدَ القِطارُ ولو رَأتهُ كمَا تَرَى ... بُهِتَت فَلَم تَتَبَجسِ الأنواءُ[٥]

في خَطّهِ من كلّ قلبٍ شَهوَةٌ ... حتى كأنّ مِدادَهُ الأهْواءُ[٦]

ولكُلّ عَينٍ قُرّةٌ في قُربِهِ ... حتى كأنّ مَغيبَهُ الأقْذاءُ[٧]

مَن يَهتَدي في الفِعلِ ما لا تَهتَدي ... في القَولِ حتى يَفعَلَ الشّعراءُ

في كلّ يَومٍ للقَوافي جَولَةٌ ... في قَلبِهِ ولأذنِهِ إصغَاءُ

وإغارَةٌ فيما احتَواهُ كأنما ... في كُلّ بيتٍ فَيلقٌ شَهبَاءُ[٨]

من يَظلِمُ اللؤماءَ في تَكليفِهِم ... أن يُصبِحُوا وهُمُ لَهُ أكفَاءُ[٩]

ونَذيمُهُم وبِهِم عَرَفنَا فَضلَهُ ... وبِضِدّها تَتَبيّنُ الأشياءُ[١٠]

---

(١) الأشم: المرتفع.

(٢) العقاب: جمع عقبة، وهي المرتقى الصعب من الجبل.

(٣) لبس الأمر: اختلط ما شتبه.

(٤) النضار: الذهب. قام الماء: جمد.

(٥) القطار: جمع قطرة المطر. بهتت: تحيرت. تتبجس: تنفجر.

(٦) المداد: الحبر. الأهواء: جمع هوى، وهو ميل النفس إلى شهواتها.

(٧) قرة العين: سردرها. الأقذاء: جمع قذي، وهو ما يقع في العين.

(٨) الفليق: الكتيبة من الجيش. الشهباء: التي غلب بياضها على سوادها.

(٩) اللؤماء: االأخساء. الأكفاء: الأمثال.

(١٠) نذيمهم: نعيبهم.

من نفعُهُ في أن يُهاجَ وضَرُّهُ ... في تَركِهِ لَوْ تَفطَنُ الأعداءُ

فالسّلمُ يَكسِرُ من جَناحَي مالِهِ ... بنَوالِهِ ما تجبُرُ الهَيْجاءُ[١]

يُعطي فتُعطَى من لُهَى يدِهِ اللهَى ... وتُرَى بِرُؤيَةِ رَأيِهِ الآراءُ[٢]

مُتَفرِقُ الطّعمَينِ مُجتَمِعُ القُوَى ... فكأنّهُ السّرّاءُ والضّرّاءُ

وكأنّهُ ما لا تَشاءُ عُداتُهُ ... مُتَمَثّلاً لوُفُودِهِ ما شاؤوا

يا أيّها المُجدى عَلَيهِ رُوحُهُ ... إذ لَيسَ يأتيهِ لها استِجداءُ[٣]

احمَد عُفاتَكَ لا فُجِعتَ بفَقدِهم ... فَلَتَركُ ما لم يأخُذوا إعْطاءُ[٤]

لا تَكثُرُ الأمواتُ كَثْرَةَ قِلّةٍ ... إلا إذا شَقِيَت بكَ الأحياءُ

والقَلبُ لا يَنشَقّ عَمّا تحتَهُ ... حتى تحِلّ بهِ لكَ الشّحناءُ[٥]

لم تُسمَ يا هَارونُ إلا بَعدَما اقـ ... ـتَرعَت ونازَعتِ اسمَكَ الأسماءُ[٦]

فغَدوتَ واسمُكَ فيكَ غيرُ مُشارِكٍ ... والنّاسُ فيما في يَدَيكَ سَواءُ

لَعَمَمتَ حتى المدنُ منكَ مِلاءُ ... ولَفُتّ حتى ذا الثّناءُ لفاءُ[٧]

ولَجُدتَ حتى كِدتَ تَبخَلُ حائِلاً ... للمُنتَهَى ومنَ السّرورِ بُكاءُ[٨]

---

(١) النوال: العطاء. الهيجاء: من أسماء الحرب.

(٢) اللهى: العطايا الجزيلة.

(٣) المجدي عليه: الموهوب.

(٤) العفاة: القاصدون المعروف.

(٥) الشحناء: العداوة.

(٦) اقترعت: ألقت قرعة.

(٧) ملاء: مؤنق ملآن. لفت: تجاوزت. اللقاء: القليل جدًا.

(٨) الحائل: المتغير.

أبدأتَ شَيئًا ليسَ يُعرَفُ بَدْؤُهُ ... وأعَدْتَ حتى أنكرَ الإبداءُ[١]

فالفَخرُ عن تَقصيرِهِ بكَ ناكبٌ ... والمجدُ من أن يُستزادَ بَراءُ[٢]

فإذا سُئلتَ فَلا لأنّك مُحوِجٌ ... وإذا كُتمتَ وشَت بكَ الآلاءُ[٣]

وإذا مُدحتَ فلا لتَكسبَ رِفعَة ... للشّاكرينَ على الإلَه ثَناءُ

وإذا مُطِرت فلا لأنك مُجدِبٌ ... يُسقى الخَصيبُ ويُمطَرُ الدّأماءُ[٤]

لم تحكِ نائلك السّحابُ وإنما ... حُمت به فَصَبيبُها الرُّحضاءُ[٥]

لم تَلقَ هذا الوَجهَ شَمسُ نَهارِنَا ... إلا بوَجهٍ لَيسَ فيهِ حَياءُ

فبأيما قَدَمٍ سَعَيتَ إلى العُلى ... أدَمُ الهِلالِ لأخمَصَيكَ حِذاءُ[٦]

ولكَ الزّمانُ من الزّمانِ وقايَة ... ولكَ الحِمامُ من الحِمامِ فِداءُ[٧]

لو لم تكن من ذا الوَرَى اللذ منك هُو ... عَقِمَت بمولِد نَسلِها حَوّاءُ[٨]

---

(١) أبدأت: أحدثت. أعدت كررت.

(٢) ناكب: عادل.

(٣) كتمت: احتجبت عن الناس. وشت: نمّت. الآلاء: النعم.

(٤) الدأماء: البحر.

(٥) الصبيب: الماء المصبوب. الرحضاء: عرق الحمى.

(٦) الأدم: جمع أديم، وأديم الهلال: ما بدا منه. الأخمص: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم.

(٧) الحمام: الموت.

(٨) اللذ: لغة في الذي. العقم: عدم الإنجاب.